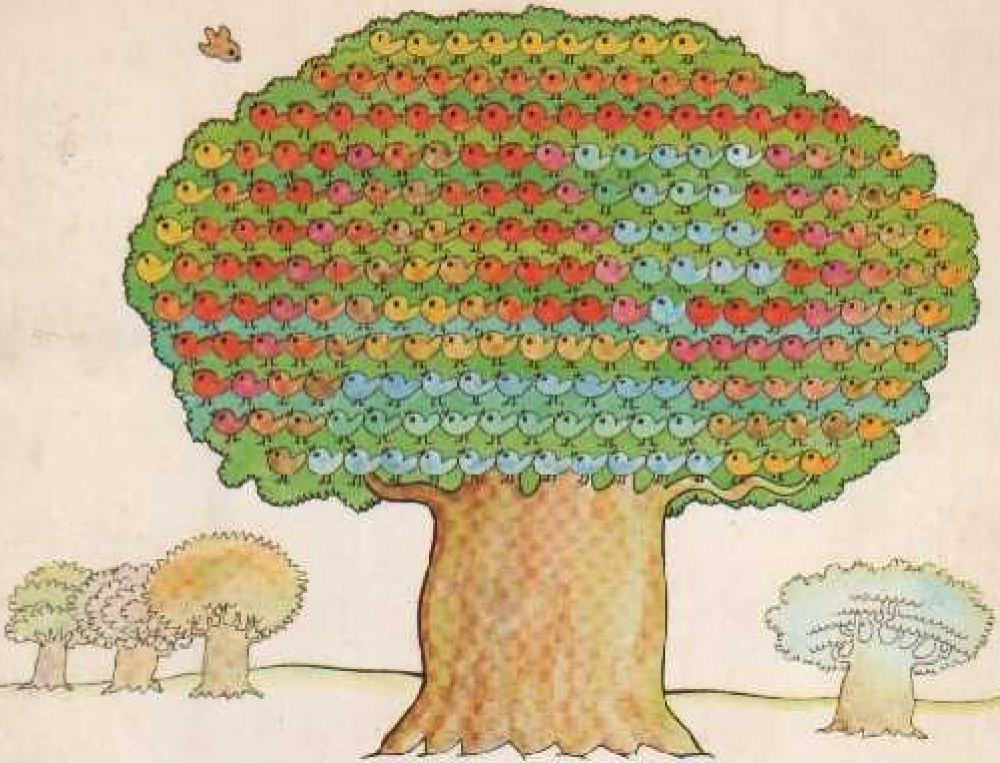
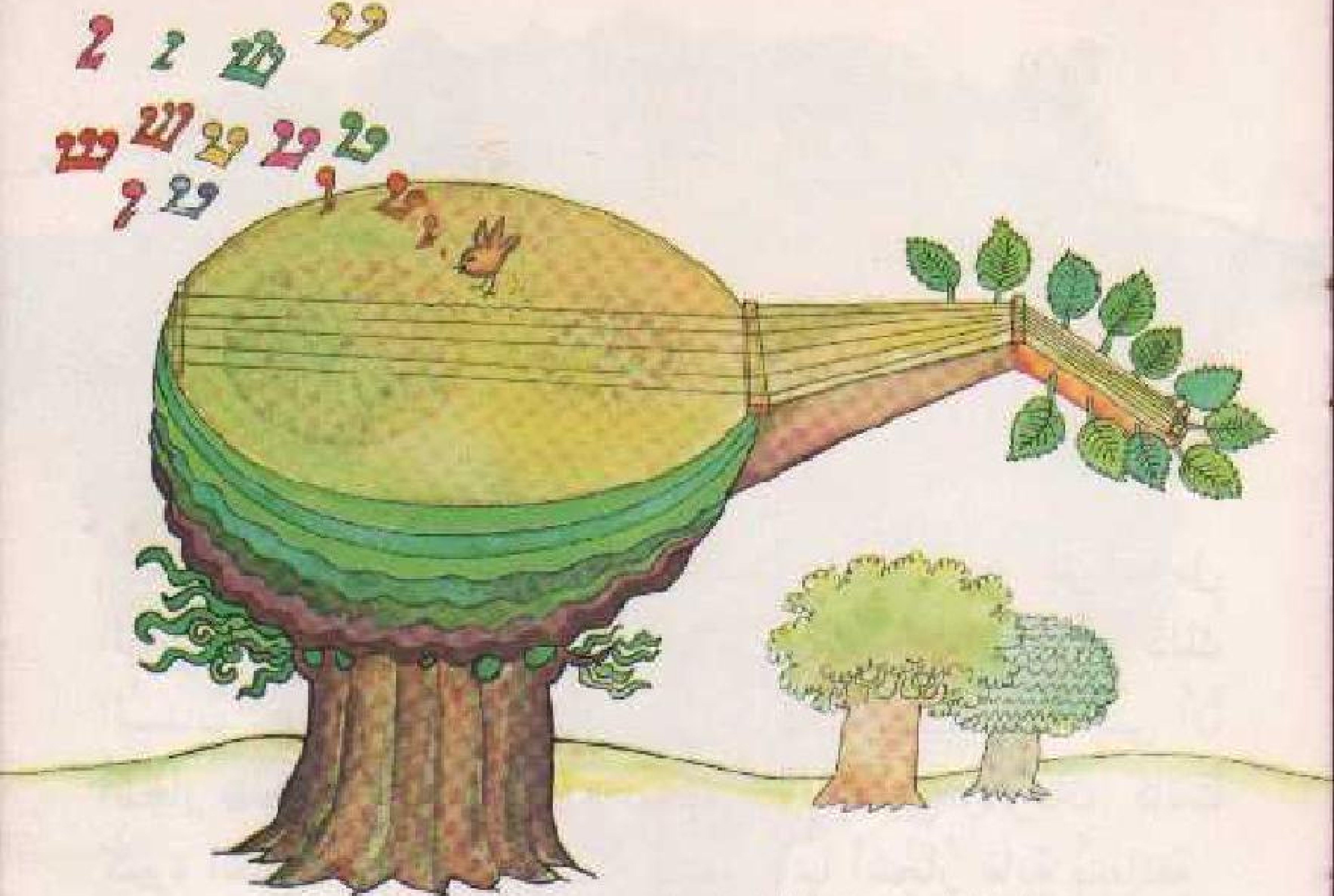
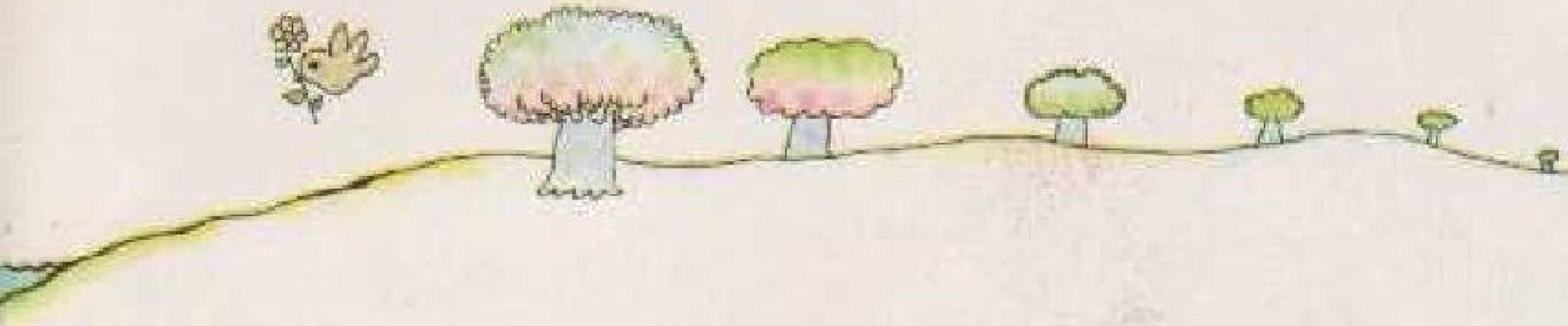


البلبل الصغير الشريد

قصة حسيب كيالي رسوم حجازي

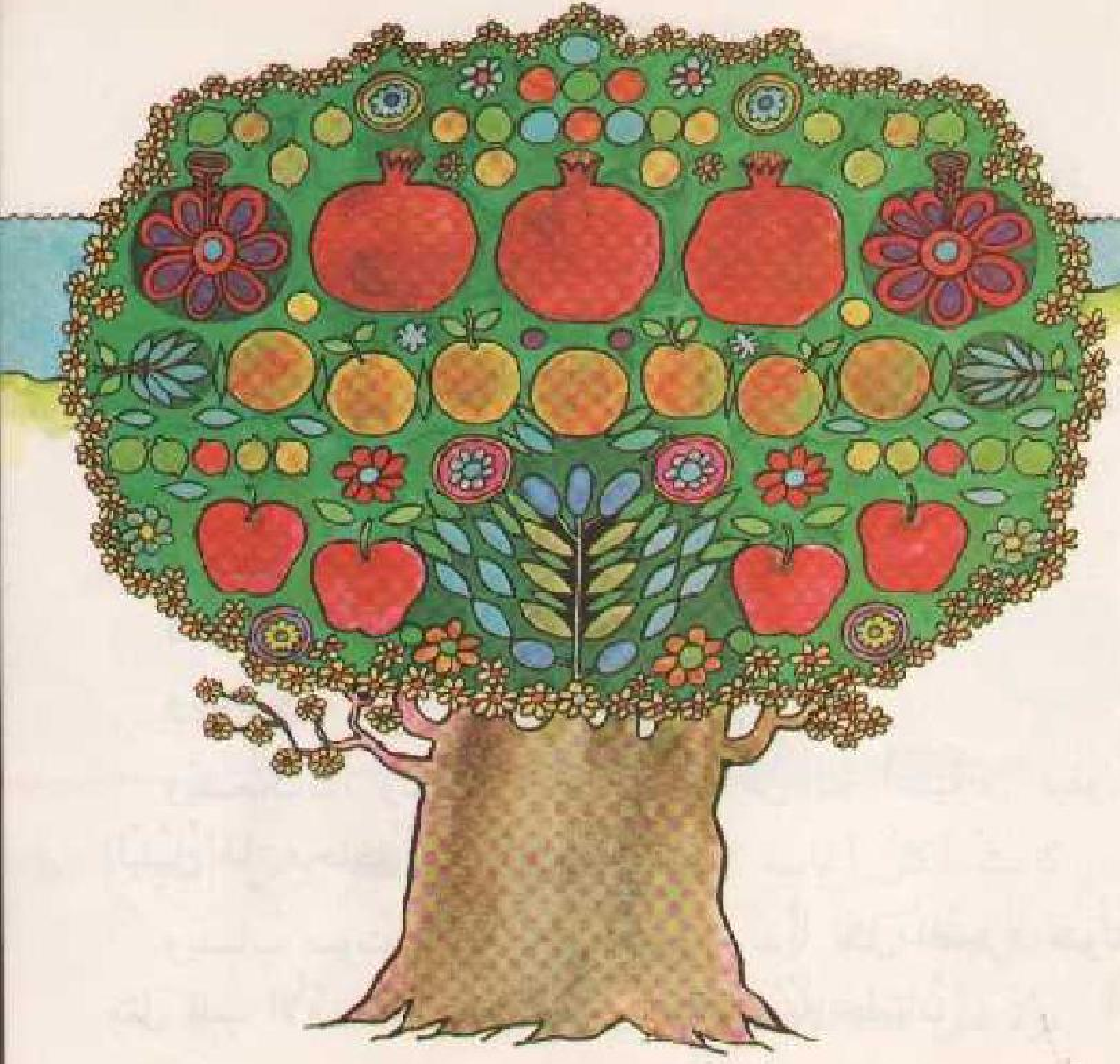


«وَفا» بُلبُلٌ صَغيرٌ حُلْوٌ، لَونُ ريشِهِ بُنّيٌّ فاتِحٌ. تَعلَّمَ وفا الغِناءَ
من أَبوَيْهِ اللَّذَيْنِ كانا مُطْرِبَينِ مَعْروفَينِ ذاعَ صيتُهما وانْتَشَرَتْ
أغانيهِما داخِلَ الوطنِ وخارجَهُ.



وُلِدَ وفا وأبواهُ، وأَجدادُهُ، في بُستانٍ جميلٍ يَقَعُ على ساحلِ البحرِ. كلُّ النّاسِ، حتّى في البلادِ البعيدةِ، يَعلَمونَ أنَّ ذلكَ البُستانَ أَجملُ بُستانٍ في الدُّنيا. تُرابُهُ كانَ خَصِباً جدّاً حتّى أنَّ أَشجارَ البُرتُقالِ والليمونِ واليُوسُفيِّ والزَّيتونِ والرُّمّانِ كانت كَثيرةَ العددِ، مُزدحمةً، مُتشابِكةً مُلتفَّةً كأنها أشجارُ غابةٍ مُتعانِقةٍ.

وَبَلَغَ من جمالِ ذلكَ البُستانِ ولَطافَتِه أنَّ سِياجَهُ كانَ كُلُّهُ من الوَردِ الجُوريِّ والزَّيزَفُونِ وشَقائِقِ النُّعمانِ والياسَمينِ والزَّنبقِ والفُلِّ.

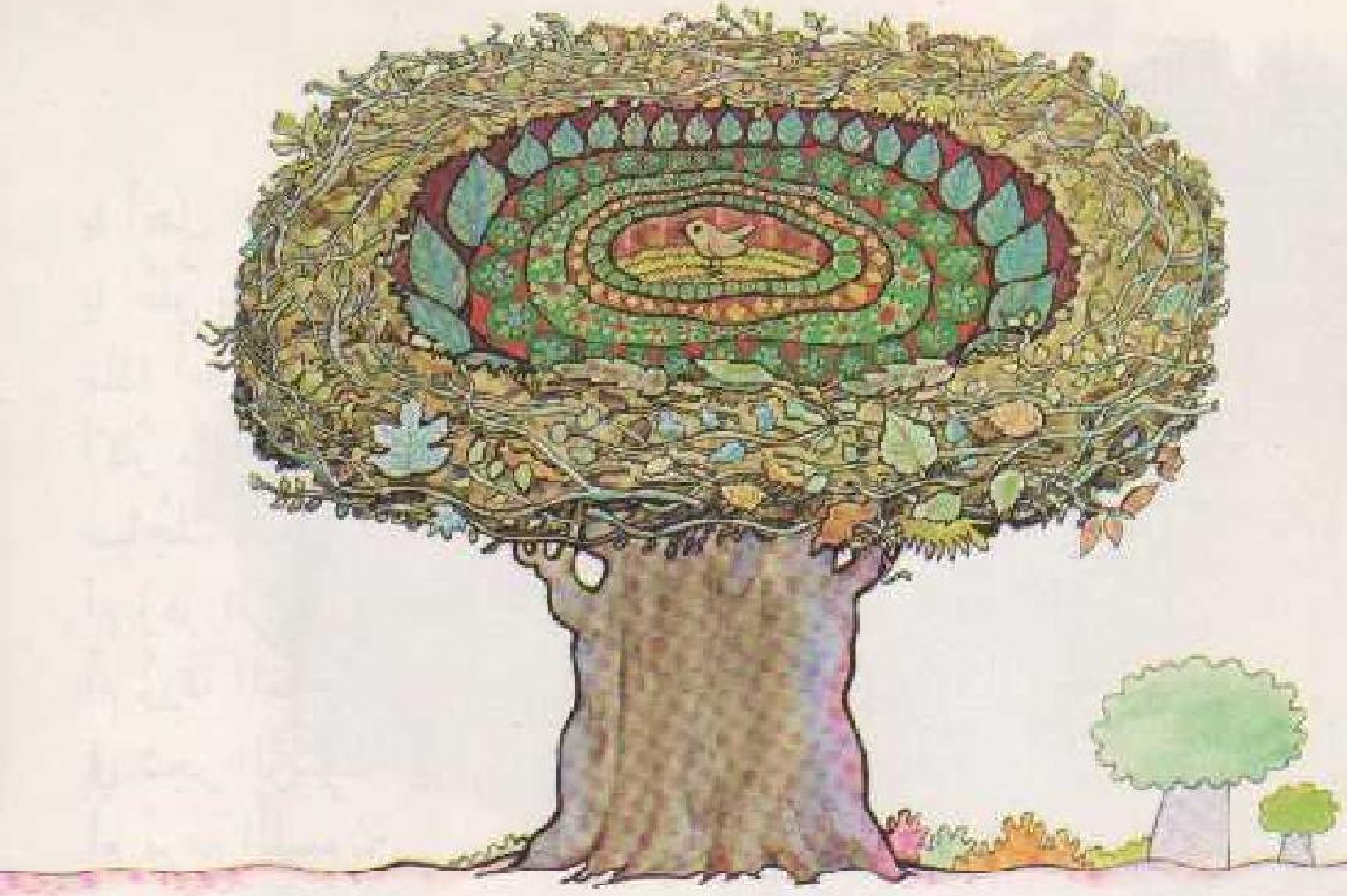


كانَ وفا يُحبُّ بُستانَهُ حُبّاً جمّاً، ويَستيقظُ كُلَّ يومٍ مع الخُيوطِ الأُولَى للفَجر، فتُناديه وردَةٌ قَريبةٌ من بَيتِهِ وتَقولُ لَهُ: «وفا»!.

فيُجيبُها وفا: «مَاذا يا جارَتِي العَزيزةَ»؟
فَتقولُ الوردةُ: «قَبْلَ كلِّ شيءٍ صَباحَ الخَير»
ويَقول وفا: «صَباحَ الوَردِ»!

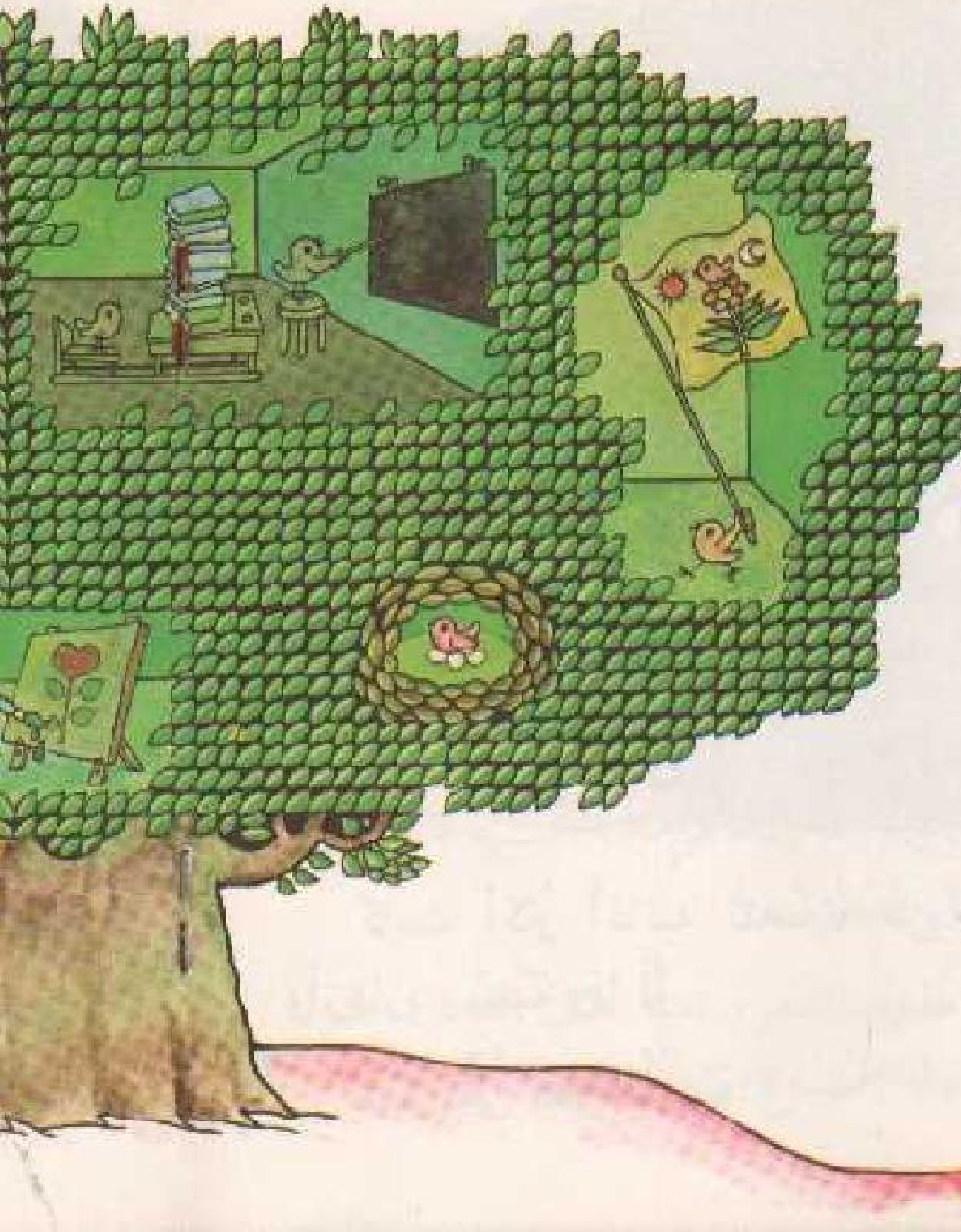
ويَضحكَانِ. وتَقولُ الوَردةُ: «وفا غَنِّ لنا أُغْنيةً». فيَقولُ البُلبُلُ لها: «حَاضِرٌ يا جَارتِيَ العَطِرةَ».

ويَنسابُ صوتُ وفا في هُدوءِ الفَجرِ، نَديًّا مِثلَ الفَجر، حَنوناً مِثلَ قَلبِ الأُمِّ، عَذباً مِثلَ ماءِ اليُنبوعِ يَشرَبُهُ عَطشانُ.



كانت أكثرُ أغانيهِ تَتحدَّثُ عن جَمالِ وَطَنِهِ وعن أشجارِهِ وأزهارِهِ ومَحبَّتِهِ وفاً لَهُ.

مرَّةً غَنَّى هذِهِ الأُغنيةَ:



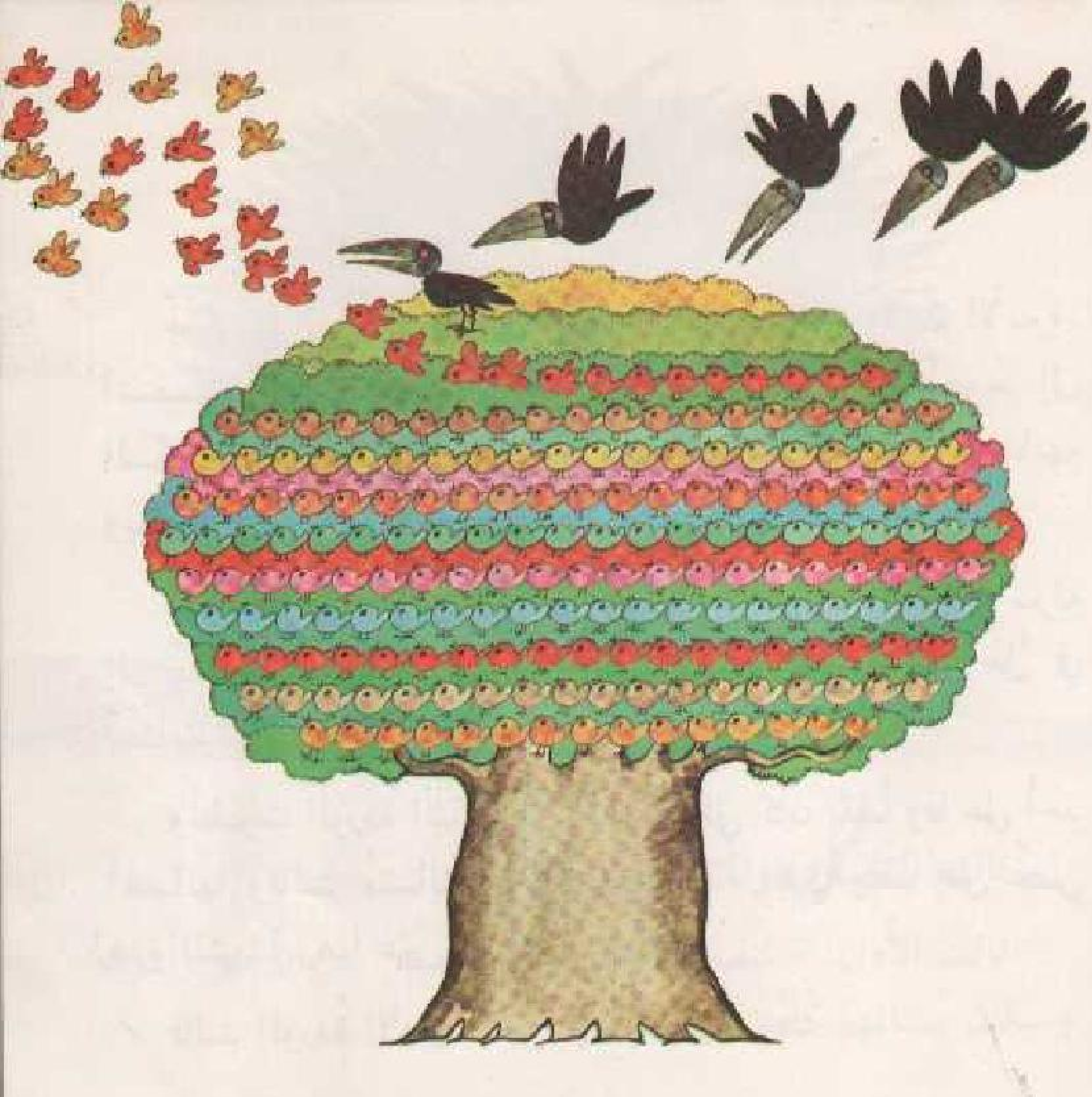
يا أجملَ الأوطانِ
يا حُلوُ يا بُستاني
ماذا أُحِبُّ فيكْ
أكْثرُ ما أُحِبُّ؟
سِياجُكَ الفتّانْ
أم زَهَرَ الرُّمانْ
أم زُرقةَ الغُصونْ
في شجرِ الزَّيتونْ
أم بُرعمَ اللَّيمونْ
أم عِطْرَكَ الحَسَنْ؟
أهواكَ يا وَطَنْ.





حَسَدَتِ الغِرْبانُ بَلابِلَ البُسْتانِ؛ فَهاجَمَتْهُ أَسرابٌ سَوداءُ، وطَرَدَتِ البَلابِلَ من بُيوتِها، ومنها وفا وأُسْرَتُه.

بَعضُهمْ نَقَرَتْهُ الغِربانُ على رأسِهِ فماتَ في البُستانِ، وآخرونَ أُصيبوا بِجُروحٍ بالِغَةٍ. وأَمّا الباقونَ فقدْ هَربوا وهاموا على وُجُوهِهِمْ في كُلِّ طريقٍ مُشَرَّدينَ لا مأوى لَهُمْ.

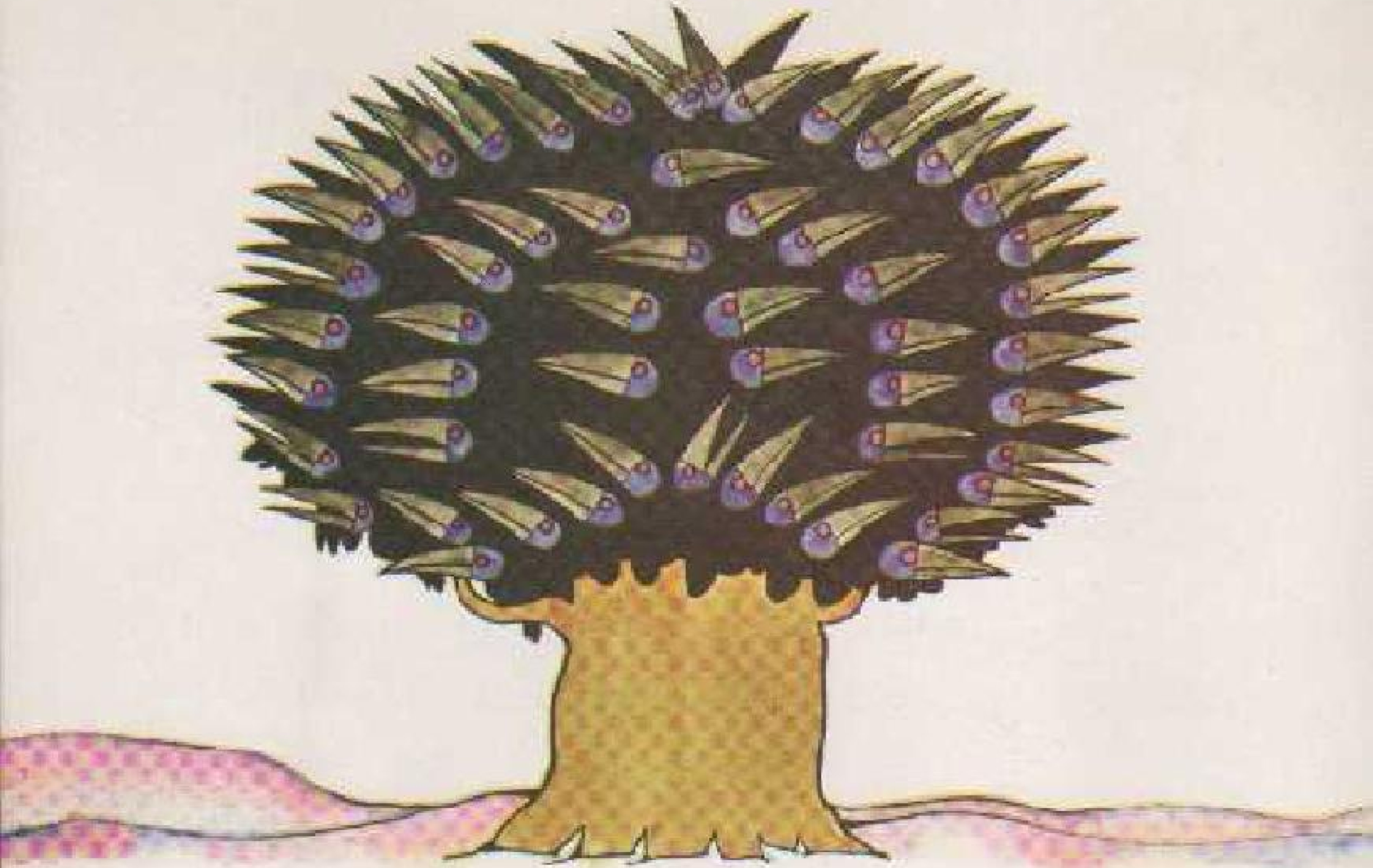


لجأ وفا وأسرتُهُ إلى بُستانٍ قريبٍ كانَ يَسكُنُ فيهِ أقرباءُ الأسرَةِ. استَقبلهم الأقرباءُ استقبالاً حَسناً جداً، وفَسحُوا لَهُمْ، ودَعوهُمْ إلى السَّكنِ معهُمْ. ولكنَّهُمْ بَقوا حُزَناءَ لأنَّهُمْ بَعيدونَ عن بستانِهمْ وبَيتِهمْ.

وعَلمَتْ إحدى الوَرْدات في البُستانِ الجَديدِ بِمجيءِ وفا وأُسرتِهِ إلى بُستَانِهِمْ، فَهَمَسَتْ في أُذنِ جَارةٍ لَها: «أتعلَمينَ مَنْ حلَّ في بُستانِنا؟».

وَنَظَرَتِ الوَردةُ الثَّانيةُ إلى المِشْمشَةِ التي كانَ يَقفُ وفا على أحَدِ أغصانِها وقالتْ مُتَسائِلَةً: «أليسَ هو هذا الذي يَقِفُ على غُصْنِ هذهِ المِشمشَةِ، هنا غيرَ بَعيدٍ؟»

قَالتِ الوردةُ الأولى: «بلى، إنَّهُ هو».



قَالتِ الثَّانيةُ: «ولكنَّهُ يَبدو حَزيناً».

قَالتِ الأُولى: «كيفَ لا يَحزَنُ وقدْ طَرَدَتْهُ الغِربانُ هو وأسرتَهُ وسكانَ بُستانِهم كُلَّهُمْ مِن بُيوتِهِمْ!».

قالتِ الوردةُ الثَّانيةُ: «تعالي نَطلبْ منه أُغنيةً، لَعلَّهُ يتعزَّى ونَنبسِطُ نحنُ».

ونادَتهُ الوردة الأُولى: «وفا».
أَجابَ وفا بصوتٍ محزونٍ: «ماذا تُريدينَ أيَّتها الجارةُ؟».
قالتِ الوردةُ الأولى برَجاءٍ: «غَنِّ لنا أُغنيةً».
تَنَهَّدَ وفا، وقالَ والدُّموع في صوتِهِ: «أنا لا أُغنّي إلاَّ في بُستاني.
لا أُغنّي إلاَّ لِبُستاني!».



تضم هذه السلسلة مجموعة حكايات معبرة، أبطالها من الطيور والحيوانات والأطفال، مكتوبة بأسلوب مشوق ومزدانة بلوحات فنية تساعد على توضيح أحداثها.

صدر من هذه السلسلة:

١ - الشجرة
٢ - الفيل يجد عملا
٣ - بديع الزمان
٤ - القفص الذهبي
٥ - الحمامة البيضاء
٦ - جزيرة الضياع
٧ - عودة الطائر
٨ - السلحفاة الحكيمة
٩ - ندم حصان
١٠ - بيت للورقة البيضاء
١١ - وحيد القرن والعصافير
١٢ - الفيل في الصحراء
١٣ - نرجس
١٤ - الريش الجميل
١٥ - الطفل والمطر
١٦ - القط الكسلان
١٧ - الشراع الأبيض
١٨ - الجار في المدينة

الطبعة الأولى ١٩٧٥
الطبعة الثانية ١٩٧٧
الطبعة الثالثة ١٩٨٢

١٩ - صيام الثعلب
٢٠ - الفأر والجمل
٢١ - الفلاح والتنين
٢٢ - الصياد وديك الحجل
٢٣ - القمر والصغار
٢٤ - ضجر السلطان

الطبعة الأولى ١٩٧٧
الطبعة الثانية ١٩٨٢

٢٥ - الغضب
٢٦ - غزال محب للأسئلة
٢٧ - جواد الأرض الخضراء
٢٨ - البلبل الصغير الشريد
٢٩ - حصان العم رضوان
٣٠ - رحلة الدجاجة الذكية

الطبعة الأولى ١٩٨٠
الطبعة الثانية ١٩٨٢

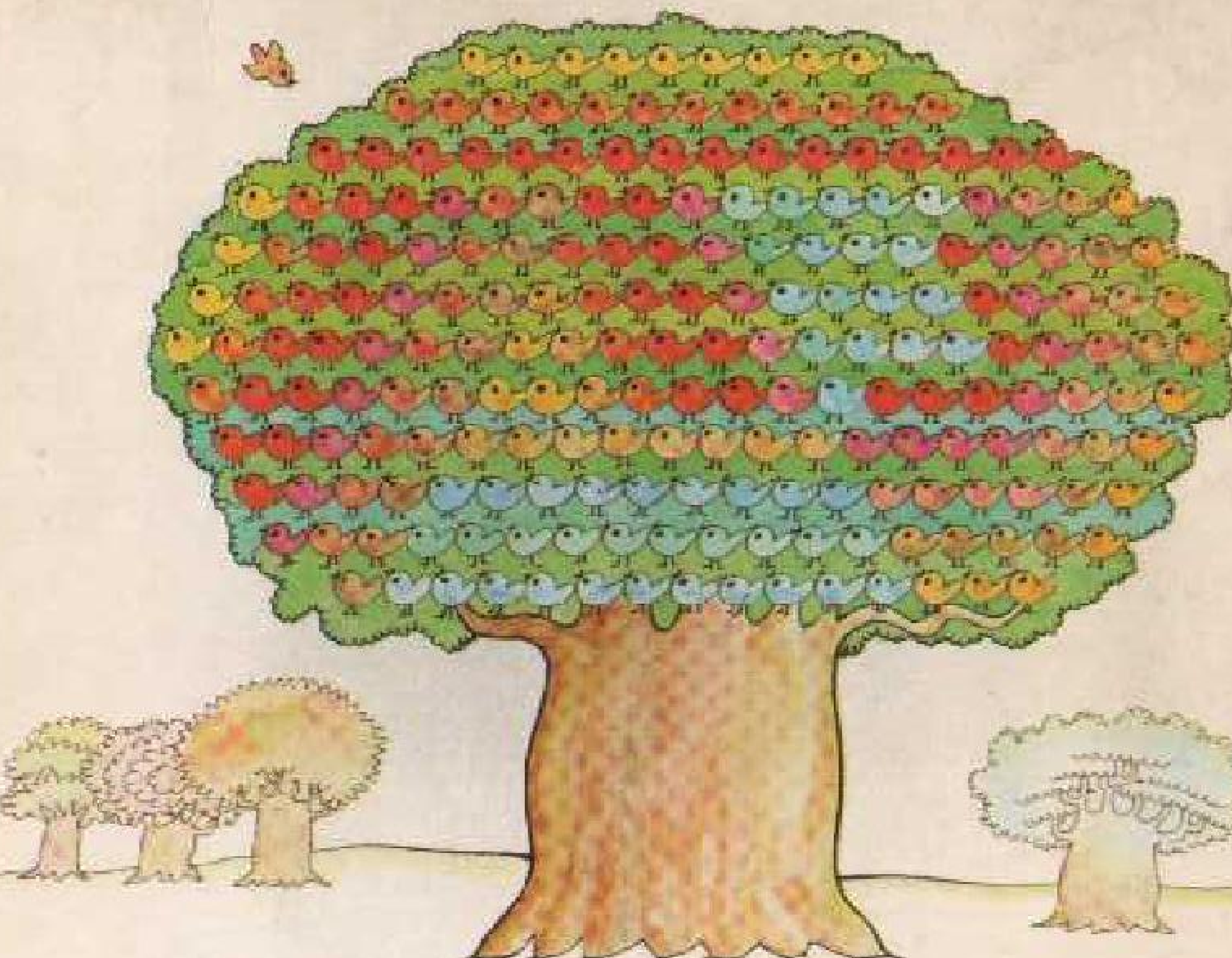
٣١ - الفأس
٣٢ - السلطان والقمر
٣٣ - مدينة الألوان
٣٤ - عصفور الجنة

الطبعة الأولى ١٩٨١

٣٥ - أمنيات ليالي جميلة
٣٦ - في المدرسة
٣٧ - القطة الصغيرة
٣٨ - الأرنب الشارد
٣٩ - حسن والغول
٤٠ - يا ليل يا عين

الطبعة الأولى ١٩٨٢

سلسلة المستقبل للأطفال



دار
الفتى
العربي
للنشر والتوزيع

كورنيش المزرعة . بناية [illegible] . ص.ب ١٤/٥٢٣٩ . بيروت - لبنان